

الحلقة السابعة والثلاثون

سفر الأمثال

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا بدأنا قبل فترة بدراسة سفر الأمثال للملك سليمان. وعلمنا أن هدف سفر الأمثال هو تقديم نصائح عملية على شكل أمثال تحمل حقائق أخلاقية، لكي تعلم الناس كيف يحيون حياة نقيّة وصادقة.

تأملنا في اللقاء الماضي بالأمثال التي تحدثت عن أهمية الاعتماد على الله في تدبير أمورنا ومخططاتنا. وحذرت بعض الأمثال من خطيئة الكبرياء وخطرها. وختمنا اللقاء بالأمثال التي تحدثت عن ضرورة الابتعاد عن الشر والالتجاء لرحمة الله التي تجلّت في المخلص المسيح.

هل تعلم مستمعي أن الله يسدد خطي الإنسان الذي يسلك في طريق الصلاح والخير، لا بل إنه يجعل حتى أعداءه يتجنبون الإساءة إليه؟ كتب سليمان الحكيم هذا المثل قائلاً: "إذا أرضت الرب طرق إنسان جعل أعداءه أيضاً يسالمونه". (أمثال ١٦: ٧) حقاً، يا لها من بركة، ويا له من امتياز، أن يدافع الله نفسه عن الإنسان المؤمن النقي الذي يتكل عليه من كل قلبه، حتى يجعل أعداءه يسالمونه ويحاولون إرضاءه. لكن في المقابل إن الله يستخدم الشرير لكي يحقق أغراضه ويجازي الناس الأشرار.

كتب سليمان الحكيم في هذا المعنى قائلاً: "الرب صنع الكل لغرضه والشرير أيضاً ليوم الشر". (أمثال ١٦: ٤) إن الله هدفاً من كل أمر، وهو لا بد أن يحقق مقاصده. ولهذا إن الله يستخدم الشرير لكي يحقق أهدافه، وينتقم من الناس الأشرار في يوم الشر.

وعالج سليمان الحكيم في مثل آخر موضوع ما هي الطريقة المثلى لتحصيل المال، فكتب قائلاً: "القليل مع العدل خير من دخلٍ جزيل بغير حق". (أمثال ١٦: ٨). إن الله يكره الطرق الملتوية، وهو لا يحب الإنسان الذي يقبل الرشوة ويلجأ إلى الظلم لتحصيل المال.

وعاد سليمان الحكيم للحديث كعادته عن أهمية اقتناء الحكمة والفهم فكتب في هذا المثل قائلاً: "قنية الحكمة كم هي خير من الذهب وقنية الفهم تُختار على الفضة". (أمثال ١٦: ١٦) إن سعي المرء للحصول على الحكمة والفهم أمر مهم للغاية، لا بل

أفضل بكثير من الذهب والفضة. فهل تطلب مستمعي من الله أن يمنحك الحكمة كما طلب سليمان الحكيم من الله قديماً فأنعِم عليه بها؟

لكن كيف بإمكان الإنسان أن يحصل على الحكمة والفهم؟ أجابنا سليمان الحكيم بهذا المثل قائلاً: "الفطن من جهة أمر يجد خيراً. ومن يتكل على الرب فطوبى له". (أمثال ١٦: ٢٠) أي على الإنسان أن يسعى ويجتهد لكي يحصل على الحكمة، وعندها لا بد أن يجد مبتغاه. لكن الأساس هو الاتكال على الرب الله، والثقة به، إذ هو مصدر الحكمة الحقيقي. لهذا قال المثل هنا طوبى، أي يا لسعادة الإنسان الذي يتكل على الرب الله.

وعندها تكون النتيجة كما قال الحكيم: "حكيم القلب يدعى فهيماً وحلاوة الشفتين تزيد علماً". (أمثال ١٦: ٢١) فعندما يمتلك الإنسان الحكمة يكون حكيم القلب، ويصبح فهيماً، أي يستطيع إرشاد الآخرين إلى الطريق السليم. ولهذا تنطق شفتيه بكلمات الحكمة والعلم، فتهدى الناس.

وهذه الحكمة أو الفطنة تكون كينبوع حياة لصاحبها، فنقوده في مسالك الخير والنجاح. ولهذا كتب سليمان الحكيم هذا المثل: "الفطنة ينبوع حياة لصاحبها وتأديب الحمقى حماقة". (أمثال ١٦: ٢٢) أي لا نفع من محاولة تصحيح اعوجاج الأحمق، لأنه جاهل لا يريد التقدم.

مستمعي الكريم، يتميز الحكيم أيضاً بأنه يستطيع السيطرة على كلامه، فلا يصدر عنه إلا الكلام البناء المفيد. كتب سليمان الحكيم قائلاً: "قلب الحكيم يرشد فمه ويزيد شفتيه علماً". (أمثال ١٦: ٢٣) وبتعبير آخر نعرف حكمة الإنسان من كلامه البناء المفيد.

وتابع سليمان الحكيم الحديث عن الكلام فكتب قائلاً: "الكلام الحسن شهد عسل حلو للنفس وشفاء للعظام". (أمثال ١٦: ٢٤) لقد شبّه الحكيم هنا وقع الكلام الحسن بشهد العسل الحلو المذاق الذي ينعش النفس، ويشفي العظام من أسقامها، أي يشفي كيان الإنسان من الداخل.

وعلى العكس من الرجل الحكيم وكلامه البناء، هناك الرجل اللئيم الذي ينبش الشر. إذ كتب الحكيم هذا المثل: "الرجل اللئيم ينبش الشر وعلى شفتيه كالنار المتقدة". (أمثال ٢٠: ٢٧) أجل إن الرجل اللئيم أي الفاسد يحاول دائماً أن يبحث عن الشر، وأن يثير نار الحقد والنزاعات.

هل تعلم مستمعي أن كلام الكذب أيضاً قد يؤدي إلى عواقب وخيمة؟ كتب سليمان الحكيم قائلاً: "رجل الأكاذيب يُطلق الخصومة والنمام يُفرّق بين الأصدقاء". وأيضاً هذا المثل: "من يغمض عينيه ليفكر في الأكاذيب ومن يعضّ شفتيه فقد أكمل شرّاً". (أمثال ١٦: ٢٨ و ٣٠). إن الكذب في أحيان كثيرة لا يهدف إلا إلى زرع الخصومات بين الأصدقاء، وحتى بين أفراد العائلة الواحدة. فالكذب عادة هدامة علينا أن نحاربها بشدة في نفوسنا. ولهذا اعتبر المثل أن من يفكر بالأكاذيب دائماً فهو قد أكمل شرّاً. أي صار شرّاً كاملاً.

ولهذا حذّرنا الرسول يعقوب من رسل المسيحية الأوائل من خطر اللسان والكلام السيء على حياتنا فكتب قائلاً: "إن كان أحد لا يعثر في الكلام فذاك رجل كامل قادر أن يلجم كل الجسد أيضاً. هوذا الخيل نضع اللجم في أفواهها لكي تطاوعنا فندير جسمها كله... هكذا اللسان أيضاً وهو عضوٌ صغير ويفتخر متعظماً. هوذا نار قليلة أيّ وقود تحرق. فاللسان نارٌ عالم الإثم. هكذا جعل في أعضائنا اللسان الذي يدنس الجسم كله ويضرم دائرة الكون ويضرم من جهنم". (رسالة يعقوب ٣: ٢ب-٦) أجل، إن الكلام الذي يصدر عن اللسان إذا لم نستطع السيطرة عليه، يشكل خطراً كبيراً على حياتنا أولاً ثم على حياة الآخرين. ولهذا دعانا الرسول يعقوب أن نلجم اللسان حتى نتكلم بكل ما هو مفيد وبناء.

لكن كيف بمقدورنا أن نكبح جماح اللسان؟ كما ذكرنا قبل قليل إن الرب هو مصدر الحكمة، هذه الحكمة التي تساعدنا لكي نكبح جماح نفوسنا، فلا يصدر عنا إلا ما هو مفيد للآخرين. فهل تراك مستمعي تأتي إلى الله مؤمناً بالمخلص المسيح الذي صار هو مصدر الحكمة الحقيقي؟ وعندها تستطيع لا أن تحفظ نفسك فقط، بل أن تساعد الآخرين بكلامك الذي يغدو كما سمعنا قبل قليل أنه: كشهد العسل الحلو المذاق الذي ينعش النفس، ويشفي العظام من أسقامها، أي يشفي كيان الإنسان من الداخل.